سلسلة الدراسات التاريخية (20)

قبيلة البطاحين

والمهدية في السودان

(1302-1316هـ / 1885-1898م)



حاتم الصديق محمد أحمد

الطبعة الأولى 2024

سلسلة الدراسات التاريخية (20)

قبيلة البطاحين والمهدية في السودان

(1302-1316هـ / 1885-1898م)

حاتم الصديق محمد أحمد

الطبعة الأولى
2024م

اسم الكتاب

قبيلة البطاحين والمهدية في السودان

اسم الكاتب

حاتم الصديق محمد أحمد

الإيداع القانوني

....../2024م



الناشر

دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – السـودان

جوال: 00249122094856 - 121566207

البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com

تاريخ النشر:

الطبعة الأولى - 2024م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

(سورة الحجرات، الآية 13)

الإهــداء

إلى الباحثين عن الحقيقية بين ثنايا الوثائق
وطيات المصادر والمراجع...
أهدي هذا الكتاب..

المؤلف

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، ودار آريثيريا للنشر والتوزيع وهما يعملان على إثراء حركة النشر العلمي من خلال الكتب، والدراسات، والبحوث العلمية في مختلف التخصصات داخل السودان وخارجه من أجل رفد المكتبة السودانية والعربية بمنتوج علمي ثقافي وفكري يشار إليه بالبنان.

والشكر أيضا للأستاذ الدكتور أبوبكر حسن باشا، أستاذ التاريخ الحديث بكلية التربية جامعة الزعيم الأزهري، الذي تكرم وقدم لهذا الكتاب، والشكر أيضا للدكتور قسم السيد حمزة، والدكتور عوض شبّا، والدكتور أحمد محمد مركز، والأستاذ خالد بابكر، والأستاذ بدوي محمد زين؛ الذين تكرموا بمراجعة مسودة هذا الكتاب وقدموا العديد من الملاحظات المهمة والمفيدة.

المحتويات

تقديم

كان سروري غامرا عندما أسند لي البروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد مهمة التقديم لكتابه قبيلة البطاحين والمهدية في السودان (1302-1316هـ/1885-1898م)، ومبعث ذلك يعود إلى أمرين أولهما أن المؤلف اتصف في إنتاجه العلمي بأصالته الحاذقة وثانيهما أن عنوان مؤلفه يندرج في إطار التاريخ الاجتماعي والسياسي معاً فالكتاب الذي جاء من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر، والمراجع، وملاحق وثائقية. هو أحد المؤلفات القيمة التي مثلت رافداً علمياً ومعرفياً موثوقاً قدم خدمة في مجال لم يتطرق له كثير من الباحثين وهو موقف التشكيلات القبلية والنظم الاجتماعية من الثورة والدولة المهدية ومنها قبيلة البطاحين موضوع الكتاب. فالرجل عُرف عنه المثابرة والغوص في مظان بحوثه العديدة في تاريخ حقبة مفصلية من تاريخ السودان الحديث ألا وهي حقبة المهدية الثورة والدولة في السودان عكف المؤلف فيها على الاستخدام الأمين لوثائق المهدية بعيني صقر وقلب أسد كما قال بعض ثقاة المؤرخين. منقباً ومحللاً لزوايا كان البعض يتجنبها بوصفه. مأزق يصعب الدخول فيه.

إن التاريخ الاجتماعي ولكونه يمس كيانات اجتماعية ما تزال قائمة يتسم بالحساسية الفائقة. أما أن يكون هذا التاريخ ذا صلة بأول ثورة وطنية تحررية في أفريقيا فإن الأمر يزداد صعوبة فقبيلة البطاحين موضوع الكتاب شأنها شأن الكثير من القبائل التي أبدت ولائها للثورة المهدية وشاركت في معاركها وفي تحرير الخرطوم بالذات عام 1885، بل وكان إسهامها واضحاً في مرحلة الدولة. رغم توجس الخليفة عبد الله في بادئ الأمر من أن

ولاءهم للثورة ليس بالضرورة أن يصبح ولاءً لمرحلة الدولة أيضاً، ولكن سياسات الخليفة عبدالله التي كان لبعضها مبررا مقبولا.. ومنها التهجير القسري للقبائل واجبارها على القدوم لأم درمان لتحصين عاصمة الدولة الوليدة وما لذلك من آثار اجتماعية ونفسية واقتصادية وأمنية على تلك القبائل جعل التمرد من البطاحين أمراً واردا مثلما قامت بالشيء نفسه العديد من القبائل وهو ما تم مواجهته بعنف مفرط من قبل الخليفة عبد الله اذ كان أحد أهدافه بسط هيبة السلطة والدولة المطلقة بوصفها سلطة دينية تستمد شرعيتها من تفويض انتظم في حضرات نبوية طالما استند إليها الخليفة في تبرير سلوكه السياسي والأمني والعسكري.

ولا شك إن السنوات القليلة التي امضتها المهدية الدولة في إدارة البلاد (1885-1898م) كان الخليفة قد تعجل خلالها في تمرير مشاريعه الاجتماعية والسياسية والأمنية دون مراعاة لبطء التحول الاجتماعي عموما مقارنة بالمتغيرات الأخرى على المستوى الاقتصادي مثلا.. وهذا ما ادي إلى الصدام المبكر مع القبائل السودانية الأمر الذي أضعف الدولة المهدية واستنزف قدراتها البشرية ونسيجها الاجتماعي حتى أن حشد الخليفة في معركة كرري كان أقل من ربع القوات التي فتحت الخرطوم... كل ذلك لا ينفي النوايا الحسنة للخليفة عبد الله في خلق حالة من الاندماج والتشكل الوطني المبكر لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

لقد قدم لنا البروفسير حاتم الصديق محمد أحمد منتوجاً علمياً سيحظى بالتقدير ولا شك من الأكاديميين والباحثين عموماً وبالأخص المهتمين منهم

بتاريخ المهدية. أما وأن يكون ذلك في التاريخ السياسي الاجتماعي خلال المهدية بمرحلتيها الثورة والدولة. فهو أمر يستحق الثناء وحث الآخرين على شرف الاسهام فيه.

أ. د. أبوبكر حسن محمد باشا
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية - جامعة الزعيم الأزهري

مقدمة

شهدت المهدية الثورة والدولة الكثير من حركات المعارضة من قبل المجموعات السودانية طوال تاريخها الذي امتد من (1881–1898م)، وقد كثرت حركات المعارضة السودانية ضد الدولة المهدية عن أنيابها بعد وفاة الإمام المهدي في يونيو من العام 1885م، وتولية الخليفة عبد الله للسلطة، وقد تعددت وتشعبت أسباب هذه المعارضة ، ومن هذه الأسباب: عملية التهجير التي فرضها الخليفة عبد الله على القبائل السودانية إلى أم درمان، ولم يستثنِ الخليفة عبد الله أحداً من هذا الإجراء بما في ذلك أهله وعشيرته التعايشة في دارفور، والخليفة بإتباعه لإسلوب التهجير كان يرغب في أن تكون جميع القبائل تحت نظره ومراقبته المباشرة في حاضرة دولته الوليدة، وقد عارضت الكثير من القبائل عملية التهجير مما عجّل بدخولها في صدام مع الخليفة عبد الله، الأمر الذي افقدها الكثير من الأموال والأرواح والممتلكات، وعلى الرغم من ذلك نجح الخليفة في نهاية الأمر في احضار هذه القبائل إلى أم درمان، ومن القبائل التي دخلت في معترك معارضة الدولة المهدية "قبيلة البطاحين"، التي كان لها دور واضح منذ اندلاع الثورة المهدية على يد الإمام محمد أحمد المهدي في العام 1881م، ولكنهم اصطدموا بسلطة الدولة بعد قيامهم بعدد من المخالفات التي جرّت عليهم غضب الخليفة عبد لله ، وجعلته يقوم بإرسال حملة كبيرة للقضاء عليهم وكسر شوكتهم في منطقة البطانة، المنطقة التي يعوّل الخليفة عبد الله عليها كثيراً في عمليات إمداد بيوت المال في أم درمان بالذرة، ولن يتوانى الخليفة عبد الله في القضاء على أي معارضة تندلع شرارتها في تلك المناطق لأن أمن الدولة الغذائي وقوت قواته يعتمد عليها

بشكل كبير وعلى ما تنتجه من ذرة، كما أن البطاحين عملوا على التعدي على القوافل التجارية التي تعبر مناطقهم مما أسهم في انتشار حالة من عدم الأمن والاستقرار بالنسبة لشريحة مهمة في الدولة المهدية وهم التجار ولأنهم يمثلون المصدر الرئيس للسلع والبضائع التي تدر عائدا لا يستهان به لبيت المال ولا يرغب الخليفة عبد الله في فقدانه، لذلك عمل على القضاء على معارضة البطاحين له، ومن الأسباب أيضاً وهو لا يقل في أهميته عن الأسباب السابقة؛ تعدي بعض أفراد القبيلة على عمال الخليفة الذين تم إرسالهم إلى مناطق البطاحين في سهل البطانة بغرض جمع الضرائب التي فُرضت عليهم من قبل الدولة، ولكن تعرضت هذه المجموعة للتعدي من قبل بعض البطاحين مما أدى إلى ازدياد غضب الخليفة عبد الله عليهم،ولحسم التعديات التي قام بها البطاحين ضد الدولة المهدية قام الخليفة بإرسال قائده الأمير عبد الباقي عبد الوكيل بغرض القضاء على البطاحين وكسر شوكتهم، الذي نجح في ذلك وتمكن من هزيمة قبيلة البطاحين وقتل وأسر العديد منهم، كما تم إرسال هؤلاء الأسرى إلى الخليفة عبد الله في أم درمان ، وعند وصولهم قرر الخليفة بواسطة قضاة الشرع معاقبة البطاحين فكان العقاب القتل والتقطيع من خلاف في حدث مهيب شهدته مدينة أم درمان في العام (1306هـ/1888م)، وقد كان الخليفة عبد الله يهدف لردع قبيلة البطاحين من خلال استخدامه لأشد أنواع العقاب ضدهم ، ثم إرسال العديد من الرسائل لجميع القبائل السودانية التي تخطط أو تنوي التمرد على سلطته، وأن مصيرها - أي القبائل- لن يكون أفضل حالاً من البطاحين.

يأتي هذا الكتاب استنطاقاً لوثائق ومصادر المهدية والمراجع الأخرى التي تناولت تاريخ قبيلة البطاحين وعلاقتهم بالثورة والدولة المهدية في السودان

وما تعرضوا له على يد الخليفة عبد اللّه مع الالتزام بالسياق الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي جرت فيه تلك الأحداث دون التحيز لأي جهة أو تمجيد فعل من الافعال مع الالتزام بالأسس الموضوعية في كتابة التاريخ.

الفصل الأول

قبيلة البطاحين

الفصل الأول
قبيلة البطاحين

تتعدد المجموعات القبلية في السودان، ولكل منها امتداداتها الطبيعية في مناطق نفوذها أو تلك التي استقرت فيها، وقبيلة البطاحين تنتمي للمجموعة الجعلية التي استقرت في منطقة البطانة التي تقع في شرق النيل الأزرق وعلى تخوم العاصمة الخرطوم، وتجاور قبيلة البطاحين عدد من القبائل في تلك المنطقة والتي منها: قبيلة الشكرية* التي تعتبر بفروعها المختلفة أهم قبائل البطانة بل أصحاب النفوذ التاريخي فيها، وهناك أيضاً السدارنة، والكواهلة، والرشايدة، والمغاربة ، والفادنية وغيرهم من المجموعات التي استقرت منذ قديم الزمان وعبر فترات تاريخية مختلفة في سهل البطانة.

يرتبط نسب قبيلة البطاحين بالمجموعة الجعلية الكبرى[1] في سمرة وسمير أبناء كردم بن أبي الديس، فجد البطاحين سمرة وجد الجعليين سمير قد انشقوا من الجعليين في وقت مبكر وتحركوا ناحية مناطق أبودليق وما حولها واستقروا بها، وقد أورد ود ضيف الله[2] في كتابه الطبقات وفي ترجمته للشيخ بدوي ود أبودليق[3] قال: رأى الشيخ رؤيا منامية أُمر فيها أن يسكن في الأرض الحمراء مع الأشخاص أصحاب البشرة الحمراء يقصد البطاحين[4].

يدل حديث ود ضيف الله على أن قبيلة البطاحين كانت ومنذ وقت بعيد تسكن هذه المنطقة في البطانة، وأنهم قاموا بتأسيس مقر زعامتهم في جبل (القنن والفرش) وكان العبادلة على قمة إدارة القبيلة وهم عشيرة الشيخ

فرح[5]، ودتكتوك ،ولكن انقض عليهم الشكرية[6] المرغوماب في مطلع القرن الحادي عشر وقضوا عليهم قضاء مبرماً، ومن بقي حياً منهم اتجه ناحية مناطق سنار والجزيرة، ومنهم القدوراب فرع الشيخ فرح ودتكتوك الذين استقروا في منطقة جنوب شرق سنار القديمة في المكان المعروف وقتذاك بمشرع الحجيرات، والآن يعرف بعمارة البطاحين[7].

تعد منطقة أبو دليق في سهل البطانة مقر زعامة قبيلة البطاحين الذين بسطوا سيطرتهم عليها وأصبحت مركزهم الرئيس، ولهم وجود أيضاً في منطقة علون، وأبرق، وغيرها من حواضرهم بمنطقة البطانة، وللبطاحين مجموعات أخرى في غرب النيل الأزرق في مناطق ود مدني والمناقل، والحصاحيصا وغيرها من المناطق هناك، وفي فترة الحكم التركي – المصري[8] تمكن الشيخ عبدالباقي عبدالقادر من حفر عدد من الآبار في مناطق علوان، والتمامة، وأم سديرة، وكدوم، وقد أسهم حفر هذه الآبار في استقرار أفراد القبيلة حول مصدر دائم للمياه حيث عُرف عنهم الترحال بماشيتهم طلباً للكلأ والمياه[9].

ولأن قبيلة البطاحين تجاور قبيلة الشكرية التي تفوقهم عدداً في منطقة البطانة، وبسبب هذا الجوار الذي أدى إلى توتر العلاقة بين القبيلتين كما أدى أيضاً إلى دخول البطاحين في حروبات ضد قبيلة الشكرية وهذه الحروبات كانت واحدة من سمات القبائل البدوية في منطقة البطانة وغيرها من مناطق السودان، واستمرت حالة العداء بين الجانبين طوال فترة الحكم التركي – المصري (1821–1885م)، وتسبب في مقتل وجرح العديد من أتباع الطرفين[10].

بطون قبيلة البطاحين:

تتكون قبيلة البطاحين من عدد من البطون وهي:

أ. عشامة:

1. صاحباب: (أ) نيناب (ب) بلالاب (ج) وآخرون
2. هديباب: (أ) شراحاب (ب) عطوية (ج) قدماب (د) سواديب
3. عركشاب: (أ) بلالاب (ب) أم عيسى
4. علاما (أ) بُرك (ب) شلوخاب
5. ضيفلاب: (أ) كوديلاب (ب) راشداب (ج) نوراب (د) بعابيش
6. عسافاب: (أ) فرجاب (ب) وغيرهم.

ب. باتقاب:

(1) حواب (2) حريراب (3) شبلة

(4) زاكياب (5) دريساب (6) أتامرة

(7) شويناب يعيشون وسط العشامة

ج. عبادلة:

(1) عوضاب (2) وغيرهم[11].

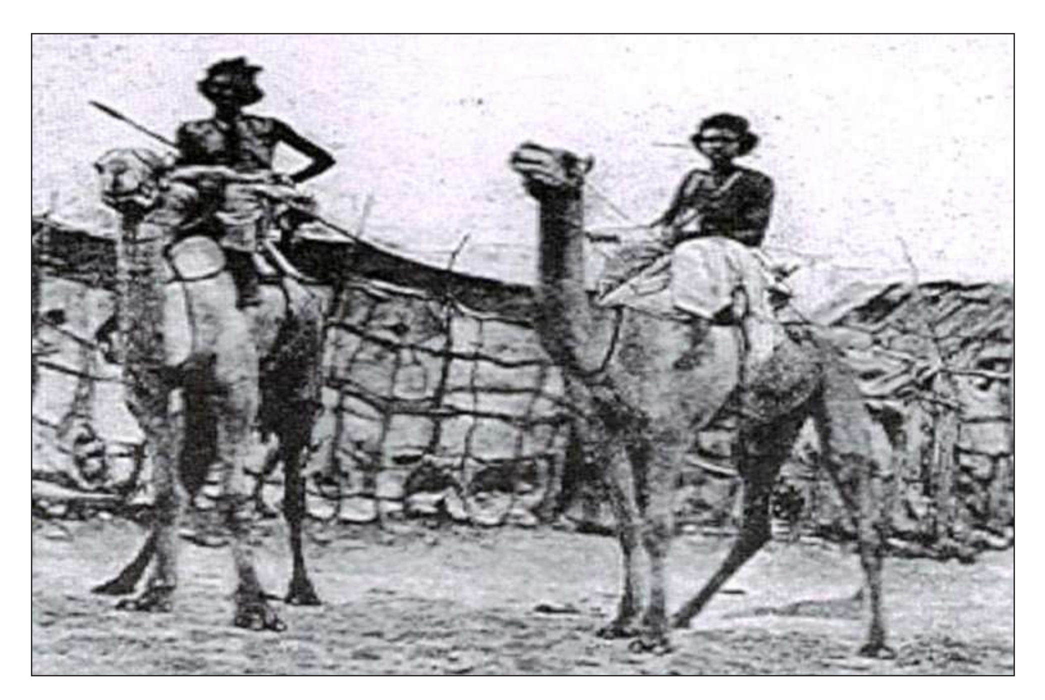
اشتهرت قبيلة البطاحين بقوة رجالها في فترة الدولة السنارية والحكم التركي -المصري في السودان[12]. وتمتلك القبيلة الكثير من الماشية منها: الغنم والبقر و الإبل التي تميزت بسرعتها ، ويقومون أيضا بزراعة الذرة في الوديان والخيران في منطقة البطانة كما اتصف رجال البطاحين بالشجاعة مع وجود قلة منهم يحترفون السلب والنهب ، وقد احترف البعض منهم

السلب والنهب منذ فترة الحكم التركي – المصري في السودان، وعند قيام الثورة المهدية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدي في سنة 1299 هـ/1881م كان البطاحين من أوائل القبائل التي رحبت بالمهدية وعندما كان الإمام المهدي[13] في قدير التحق به أحد رجالها ويدعى عثمان أحمد مبايعاً ، وقد عينه الإمام المهدي نائباً من نواب الشرع، وأصبح صاحب مكانة كبيرة بعد ذلك عند المهدي والخليفة[14].

سمات القبيلة:

تميزت قبيلة البطاحين بالعديد من السمات، والتي منها الشجاعة والفروسية، والكرم، وجمعت القبيلة في الوقت نفسه بين ظاهرتين اجتماعيتين على طرفي نقيض أولاهما ظاهرة التدين (التصوف) والمتمثلة في كثرة الأولياء والصالحين منهم: الشيخ نعيم الأجواد، الشيخ طه الأبيض ، الشيخ فرح ود تكتوك ، الشيخ عبد الباقي جبل الحديد، الشيخ حاج يوسف (دهاشة) الذي سميت عليه منطقة الحاج يوسف بالخرطوم بحري، الشيخ طلحة وغيرهم ، والظاهرة الثانية ذات علاقة وثيقة بالبداوة وهي ظاهرة (الهمبتة)، ويعد البطاحين من أوائل القبائل السودانية التي مارست هذه الظاهرة الاجتماعية لوقت طويل[15].

وكانت المجموعات التي امتهنت حرفة الهمبتة أي النهب من قبيلة البطاحين تقوم بمهاجمة القوافل التجارية التي كانت تأتي محملة بالبضائع والسلع الثمينة، وذلك عبر متابعتهم لها ثم انتظارها في مكان يسهل عليهم الانقضاض عليها ونهبها، وقد اتخذ البعض منهم من الغابة التي حول أم درمان مأوى لهم بغرض الحماية وتقسيم الغنائم[16]



بعض فرسان البطاحين على جمالهم

تحدث الشيخ فرح ودتكتوك عن ظاهرة الهمبتة لدى أهله البطاحين ، وذلك في أيام الدولة السنارية حيث كان الولاء للقبيلة أقوى من الولاء للدولة ولكل قبيلة مجموعة أوعصابة تسمى (القوم) تضم قسمين: القسم الأول لحماية القبيلة، والقسم الثاني للنهب وقطع الطريق، قال الشيخ فرح

أنا فرح ود تكتوك
أهلي عبادلة وملوك
بطحاني ما في شكوك
وكت الشم تبقى هنوك
أهلي يتاكبوا في أم سمبوك
إن جيتن يجوك
وإن ما جيتن يجوك
منهن وباري منهن[17]

الهوامش

(1) **قبيلة الجعليين:** من أكبر المجموعات القبلية في السودان، تمتد مناطقهم من شمال الخرطوم وحتى منطقة أبو حمد في ولاية نهر النيل، من أهم حواضرهم مدينة شندي والمتمة، والدامر وغيرها، تمتهن القبيلة حرف الرعي، و الزراعة، والتجارة وحرفة التجارة هي التي جعلت من أفراد القبيلة ينتشرون في معظم بقاع السودان، تعرضت القبيلة للعديد من النكبات في فترة الحكم - التركي المصري بعد حادثة حرق إسماعيل باشا بواسطة الملك نمر في شندي، ثم حادثة نكبة المتمة بواسطة قوات الدولة المهدية بواسطة الأمير محمود ود أحمد الذي قام بمحاربة قبيلة الجعليين بعد رفضهم لإخلاء المتمة ،تضم القبيلة عدد من الفروع، تميزت قبيلة الجعليين بالكرم والشهامة.

(2) **ود ضيف الله:** هو محمد نور ود ضيف الله (1139- 1224هـ) ولد بمدينة حلفاية الملوك شمال الخرطوم بحري، صاحب كتاب طبقات ود ضيف الله في الأولياء والصالحين وعلماء وشعراء السودان الذي يعد من أهم الكتب التوثيقية في السودان، قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور يوسف فضل حسن، أستاذ التاريخ بجامعة الخرطوم والعديد من الجامعات السودانية والعربية.

(3) **الشيخ بدوي أبودليق:** هو الشيخ بدوي بن عبدالله، والدته تسمى بوادي من قبيلة الكواهلة عرف عند الناس بالشيخ بدوي أبودليق نسبة لمنطقة أبودليق حاضرة قبيلة البطاحين.

(4) الطيب محمد الطيب، حلال المشبوك، فرح ود تكتوك (1047-1147هـ)، (ب.ت)، (ب.د)، ص 43-44.

(5) **الشيخ فرح ود تكتوك:** هو الشيخ فرح بن محمد بن عيسى بن عبدالله بن محمد الأبطح، ينتسب إلى قبيلة البطاحين ، عاش الشيخ فرح في العهد السناري ويعد من مشايخ تلك الفترة في السودان (1504-1821م)، عُرف بالتقوى والصلاح ووضوح البصيرة له العديد من الحكم والمواعظ التي يتناقلها أهل السودان حتى اليوم توفي الشيخ فرح ودفن بقرية تكتوك شرق مدينة سنار.

(6) **الشكرية:** قبيلة الشكرية من أكبر القبائل في السودان وتسكن منطقة شرق النيل الأزرق في صحراء ريرة بين نهر عطبرة والنيل الازرق، وتتميزة بكثرة ماشيتها من الإبل والبقر، شغل زعيمهم أحمد باشا عوض الكريم أبوسن منصب مدير الخرطوم ،وبعد وفاته في القاهرة خلفه ابنه عوض الكريم أبوسن، وظلت القبيلة على ولائها للحكم التركي طوال فترة حكمه، وبعد قيام الثورة المهدية كلف الإمام المهدي قبيلة البطاحين بإخضاع الشكرية ، وبعد حصار مدينة كسلا بواسطة الأنصار كتب الشكرية للمهدي يعلنون تسليمهم للمهدية، انظر: عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ص238.

(7) الطيب محمد الطيب، حلال المشبوك، مرجع سابق، ص 44.

(8) الحكم التركي-المصري: يقصد به فترة حكم محمد علي باشا وخلفائه في السودان والتي امتدت من العام 1821م وحتى العام 1885م.

(9) هارولد أ. مكمايكل، تاريخ العرب في السودان، ج1، (تعريب) سيد محمد علي ديدان ،مركز عبد الكريم ميرغني، 2012،ص248-249.

(10) الطيب محمد الطيب، التراث الشعبي لقبيلة البطاحين ، سلسلة دراسات في التراث السوداني (16)، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، شعبة أبحاث السودان ، يونيو ، 1971م، ص 23.

(11) هارولد أ. مكمايكل، مرجع سابق، ص 250-251.

(12) كارل رودلف سلاطين، السيف والنار، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م، ص 198.

(13) الإمام المهدي: هو محمد أحمد بن عبد الله ولد في جزيرة لبب بدنقلا العجوز شمال السودان أعلن الثورة ضد الحكم التركي-المصري في السودان في العام 1881م لعدد من الأسباب وقد أسهمت العديد من الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية في نجاح ثورته ، توفي في أم درمان بعد تحرير مدينة الخرطوم في 26 يناير 1885م.

(14) إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر، ج2 ، مطبعة دارالكتب والوثائق، القاهرة ، 2008م ، ص 219- 220.

(15) الطيب محمد الطيب، حلال المشبوك ، فرح ود تكتوك (1047-1147هـ)، مرجع سابق، ص 43.

(16) هارولد أ. مكمايكل، مرجع سابق، ص 339.

(17) الطيب محمد الطيب، حلال المشبوك، مرجع سابق، ص 59.

الفصل الثاني

قبيلة البطاحين والثورة المهدية

الفصل الثاني
قبيلة البطاحين والثورة المهدية

عند اندلاع الثورة المهدية بقيادة الإمام المهدي في الجزيرة أبا في العام 1881م كانت قبيلة البطاحين من أوائل القبائل التي رحبت بالإمام المهدي وثورته كمام إيضاحه سابقاً، كما أنها أسهمت بصورة واضحة في هذه الثورة من خلال الانضمام إلى الإمام المهدي، وعندما وصل المهدي بأتباعه متحركاً من الجزيرة أبا إلى قدير بعد المواجهة الأولى له ضد الحكومة في سنة 1299هـ/1881م، وهزيمته لقوات محمد أبو السعود إلتحق به عثمان أحمد وهو من قبيلة البطاحين مبايعاً ، وقد عينه الإمام المهدي نائباً من نواب الشرع كما تم إيضاحه سابقاً[1]. وبعد ذلك أوفد البطاحين الشيخ الزبير الشيخ عبد الباقي، إلى المهدي في كردفان فعينه المهدي أميراً على أهله البطاحين وضمه إلى راية ود البصير، وفي عام 1300هـ/1882م تحرك وفد كبير من قبيلة البطاحين من منطقة البطانة متوجهاً للالتحاق بالمهدي في الأبيض ، وقد ضم هذا الوفد كلاً من الشيخ محمد الشيخ عبد الباقي ، والشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الباقي، وقطعوا نهر النيل عبر مركب في منطقة قوز المطرق وهي تقع جنوب مدينة شندي[2]، وتعرف بقوز (العلم) ومن هناك توجهوا ناحية الأبيض ، ومعهم الإبل والخيول الجيدة ، وعندما اقتربوا من الأبيض قاموا بإرسال عثمان ود أحمد البطحاني الذي له علاقة قديمة بالمهدي منذ أن كان في قدير مندوباً منهم ليخبر المهدي بقدومهم إليه ، فأمر المهدي بإعداد عرضة ترحيباً بمقدم البطاحين ومناصرتهم له في حربه ضد الحكومة في الخرطوم[3].

مما سبق يتضح أن الإمام المهدي كان فرحا بانضمام البطاحين إليه، وحضورهم إلى الأبيض يؤكد على أنهم يرغبون في دعم الثورة التي انطلقت في أبا وحقق العديد من الإنتصارات بعد ذلك. كما إن الإمام المهدي كان في أشد الحاجة لدعم ومناصرة القبائل التي كانت تقطن حول الخرطوم وقبيلة البطاحين واحدة من تلك القبائل وذلك لتنفيذ خطته المستقبلية والرامية لتحرير الخرطوم وبسط سيطرته عليها.

وفي اليوم الثاني عين الإمام المهدي الشيخ طلحة الشيخ عبد الباقي أميراً على البطاحين، وبعد ذلك تحرك وفد القبيلة نحو الخرطوم[4]. وقد اشترك البطاحين في ثورة الشريف أحمد ود طه مع مجموعات من قبائل الدناقلة والجعليين[5] في منطقة الشرفة برفاعة[6] شرق النيل الأزرق. وقد ساند البطاحين الشريف في حربه ضد الحكومة التركية، وقد كانت مشاركة البطاحين بأربعين فارس من القبيلة قتلوا جميعاً في معركة الشريف أحمد ود طه ولم ينج منهم غير واحد يدعى محمد الأمين ود كجول[7].

وبعد أن وصل خبر مقتل الشريف أحمد ود طه للمهدي في قدير قال: (... انه جزاه الله خيرا وفى بعهده معنا وقاتل جيش الترك حتى قتلوه شهيدا ...)[8]

بعد أن أصبح غردون باشا حكمداراً على السودان، وذلك بعد وصوله إلى الخرطوم أرسل رسول خاص من طرفه للشيخ عوض الكريم أبوسن يخبره بتعيينه مديراً للخرطوم، عندها سأل الشيخ عوض الكريم أبوسن رسول غردون هل حضر مع غردون جيش فكانت الإجابة بالنفي ولكن سوف يحضر الجيش، فكان رد الشيخ عوض الكريم أبو سن بأن اعتذر

عن المنصب وقال لغردون: إن بقاءه في مكانه أنفع لأنه يمنع البطاحين من الوصول إلى بربر[9].

وعندما اشتركت قوات الشيخ العبيد ود بدر في تضييق الخناق على الخرطوم من جهة الشرق، اشتركت قبيلة البطاحين ضمن قبائل شرق النيل في معية الشيخ عبد الله بن الشيخ حمد النيل وتحت قيادة الأمير عثمان ود أحمد النائب في إحكام الحصار على المدينة وعبرت مجموعات من قوات الشيخ العبيد ود بدر النيل الأزرق وعسكروا في منطقة الجريف غرب، كما أن قوات العبيد ود بدر نجحت في الوصول إلى منطقة الحلفايا شمال الخرطوم، وبذلك تمكن من قطع أي إتصال للخرطوم بالشرق[10] عندها قرر غردون باشا إرسال قوة للحلفايا لمواجهة قوات العبيد ود بدر وتمكنت هذه القوة من هزيمة قوات المهدية التي تراجعت إلى أم ضوبان مما أتاح وصول المؤن للخرطوم التي عانت بشدة من الحصار المضروب عليها من قبل الأنصار، شجعت هزيمة الأنصار في منطقة الحلفايا شمال الخرطوم غردون باشا على إرسال قوة في سنة 1302هـ/ 1884م بقيادة اليوزباشي محمد أفندي علي الذي اتصف بالشجاعة وقد حقق بعض الانتصارات على قوات الأمير محمد عثمان أبو قرجة في مناطق بري والجريف ومناطق جنوب الخرطوم ومهاجمة الأنصار في أم ضبان لكن الأنصار نجحوا في نهاية الأمر في استدراج هذه القوة نحو غابة قريبة من أم ضوبان، وتمكنوا من قتل قائدها مع ألف من قواته ،ولم ينجُ إلا القليل منهم، وعند رجوعهم إلى الخرطوم انهارت الروح المعنوية لدى سكان المدينة الواقعة تحت حصار قوات المهدية[11] ولتسهيل عملية تحرير الخرطوم وعزلها عن محيطها الخارجي نجد أن هناك قوة من البطاحين

قد اشتركت مع قوات الشيخ محمد الخير في بربر، وتمكنوا بواسطة الشيخ دفع الله الشيخ عبد الباقي من قطع خط التلغراف الواصل بين الخرطوم بالقاهرة، فأرسل مدير بربر وكيل المديرية ويدعى (ودحسين داي) لمحاربة قبائل البطاحين والجعليين الذين تمكنوا من هزيمة قواته و قتله[12].

بعد إحكام الإمام المهدي الحصار على الخرطوم قام غردون باشا بإرسال قوة نحو المتمة بقيادة خشم الموس باشا وشخص آخر يدعى عبدالحميد ود أحمد، في خمس بواخر وقد كُلفت هذه القوة بالآتي

- مناوشة قوات الأنصار بين المتمة والخرطوم.
- واستقبال حملة الإنقاذ.

وقد تعرضت قوات خشم الموس لهجمات الأهالي المرابطين حول النهر وقد كان غردون باشا ينتظر مجيء هذه الحملة وهو في غاية القلق وعلى الرغم من وصول طلائع الحملة إلى الخرطوم إلا أنها وصلت بعد مقتل غردون وتحرير المدينة في 1302هـ/26 يناير 1885م[13].

من خلال ما سبق نجد أن قبيلة البطاحين قامت بعدد من الأدوار المهمة التي أسهمت في نهاية الأمر في تحرير الخرطوم، في ظل المجهود العام للإمام المهدي وقواته، فنجد قوات البطاحين حضوراً مع الإمام المهدي في كردفان، ثم حضوراً مع الشريف أحمد ود طه في الشرفة برفاعة، ونجدهم مع الشيخ محمد الخير في مناطق بربر بغرض قطع خط التلغراف الواصل بين الخرطوم وبربر الأمر الذي أسهم في قطع التواصل الخارجي للخرطوم مع مصر. وقد اشتركت بعد ذلك قوات البطاحين ضمن قوات الشيخ العبيد ود بدر في إحكام الحصار على الخرطوم وتحريرها بعد ذلك

الهوامش

(1) إبراهيم فوزي، السودان بين يدي غردون وكتشنر ، ج2 ، مصدر سابق، ص 219-220.

(2) مدينة شندي: تعد مدينة شندي من أهم المدن السودانية، وتتميز بموقعها المهم، وكانت مرشحة لتصبح عاصمة السودان بعد غزو محمد علي باشا، ولكن بسبب حادثة حرق إسماعيل بها تم العدول عن ذلك، انظر، أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم (1820-1885م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، ص 68-69.

(3) الطيب محمد الطيب ،التراث الشعبي لقبيلة البطاحين ، مرجع سابق، ص25.

(4) المرجع نفسه، ص26-27.

(5) الشريف أحمد ود طه : قاد الشريف أحمد ود طه معارك المهدية على غردون باشا في منطقة الشرفة وذلك بعد مبايعته للإمام المهدي

(6) مدينة رفاعة: تقع مدينة رفاعة إلى الجنوب من مدينة الكاملين على الضفة الشرقية للنيل الأرق وتعد واحدة من أوائل المدن السودانية التي اهتمت بتعليم المرأة ، وهي حاضرة قبيلة الشكرية

(7) الطيب محمد الطيب ، حلال المشبوك ، مرجع سابق، ص 22- 23.

(8) علي المهدي، الأوراق المروية في تاريخ المهدية، (جمع وترتيب)، عبد الله محمد أحمد، المطبعة الحكومية ، الخرطوم، 1965م ،ص116.

(9) عبد اللّه حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية،ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م، ص238–239.

(10) عصمت حسن زلفو، كرري، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم،1973م، ص 72–73.

(11) ب. م هولت، المهدية في السودان، (ترجمة) جميل عبيد، دار الفكر العربي، بيروت، (ب. ت)، ص،117– 118.

(12) جوزف أورفالدر، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي، (1882–1892م)، ط2، (ترجمة)، عوض أحمد الضو، مطبعة التمدن، الخرطوم، 2015م، ص339.

(13) سلاطين باشا، السيف والنار في السودان ،مؤسسة هنداوي، القاهرة 2012م ،ص151.

الفصل الثالث

قبيلة البطاحين ودعمهم للدولة المهدية

الفصل الثالث
قبيلة البطاحين ودعمهم للدولة المهدية

بعد وفاة الإمام المهدي في 4 رمضان 1302هـ/ 22 يونيو 1885م أصبح الخليفة عبد الله بن السيد محمد حاكماً للدولة المهدية (1302-13016هـ/1885-1898م)، ولتثبيت دعائم أركان دولته الوليدة عمل الخليفة عبد الله على تنفير القبائل وتهجيرها إلى أم درمان وقد وصف المؤرخ السوفيتي سيرجي سمرنوف عملية تهجير قبائل الغرب إلى أم درمان بالطوفان حيث قال: (... ومنذ العام 1886م تقريباً ،بدأت هجرات قبائل البقارة من كردفان ودارفور إلى أم درمان ، إذ انهمر سيل المهاجرين رجالاً ونساء وأولاد برفقة القطعان والمواشي والمتاع والمنقولات على ظهور الجمال ، وكان استقبالهم فوجاً بعد فوج أمراً مثيراً حقاً...)[1]، ولم تكن قبيلة البطاحين بعيدة عن خطابات وتوجيهات الخليفة المستمرة الرامية لتثبيتهم على المهدية وضمان ولائهم لها ، ولتأكيد سيطرة الخليفة عبد الله نجده في شهر شعبان 1303هـ/1885م كتب إلى عدد من زعماء قبيلة البطاحين منهم محمد نايل، و طه البكري، وأحمد محمد عبد الباقي ، يذكر لهم أنهم من الأصحاب المعدودين لنصرة الدين وأن الدنيا فانية ولذلك يجب عليهم أن يشمروا عن ساعد الجد لنصرة المهدية ، وعليهم أن يحمدوا الله تعالي على حضور زمن المهدية ، ويطلب منهم سرعة الاستجابة وأن يكونوا على أتم الاستعداد ليلاً أو نهاراً لتوجيهات الخليفة عبد الله ، وأن لا يتفرقوا في غير المناطق التي حددتها لهم الدولة المهدية[2].

على الرغم من وجود آبار قديمة في منطقة أبودليق ، قام البطاحين بزيادة وتيرة حفر الآبار في المنطقة والتي بدأت منذ أواخر الحكم التركي-المصري، واستخدموا السواقي أيضاً في الزراعة وذلك من خلال استخدام المياه السطحية في الخيران والأودية التي تحيط بالمنطقة، وقاموا بزراعة الذرة، وذلك بغرض تأكيد سيادتهم على المنطقة في ظل التوتر بين الخليفة عبد الله والشكرية، وكذلك من أجل بسط سيطرتهم على المنطقة[3].

وفرت الآبار التي قام بحفرها رجال البطاحين قدراً من الاستقرار للقبيلة الأمر الذي مكنهم من زراعة أراضيهم بمحصول الذرة الذي يعد الغذاء الرئيس للقبيلة.

البطاحين وحملة الأمير عبد الرحمن النجومي للشمال:

مع بداية عام 1303هـ/1886م قام الخليفة عبد الله بإرسال الأمير عبد الرحمن النجومي إلى بربر ليتحرك منها إلى دنقلا بغرض التحضير لغزو مصر، ومعه جميع قوات الراية الحمراء، وقد وصل إلى دنقلا في أواخر سنة 1303هـ/1886م واتخذ منها معسكراً لقواته وقام بإرسال الطلائع إلى جنوب مدينة حلفا[4].

كان عدد القوات التي تحركت نحو بربر تحت قيادة النجومي تقدر بحوالي سبعين ألفاً، وعندما وصلوا إلى بربر تفرق الكثير من تلك القوات في أنحاء البلاد ولم يبقَ منهم سوى عشرين ألف مقاتلٍ منهم عشرة آلاف من الجهادية الذين تمردوا عليه ولكنه اكتشف هذا التمرد واستطاع أن يقضي عليه، وبعد أن وصل إلى دنقلا قام الخليفة عبد الله بتعيين مساعد قيدوم مدعوماً بعدد من المقاتلين لكي يكون وكيلاً لعبد الرحمن النجومي[5].

وتقلص عدد مقاتلي الأمير عبدالرحمن النجومي بمرور الوقت لعدد من العوامل والأسباب حتى وصل في نهاية الأمر إلى ما بين 5500 – 8000 بما فيهم الأطفال والنساء وقد قضوا على كل ما معهم من زاد قبل أن يتمكنوا من الوصول إلى وجهتهم وهي مصر[6].

حدث نفور واضح بين النجومي ومساعد قيدوم حتى وصل مرحلة أنّ كل واحد منهم يقوم باستعراض جيشه وحده، وفي عام 1305هـ/1888م طلب الأمير عبدالرحمن النجومي مقابلة الخليفة عبد اللّه في أم درمان وشرح له موقف قواته والخلاف الذي بينه والامير مساعد قيدوم وبعد حضور النجومي إلى أم درمان ومقابلته للخليفة طلب الخليفة من الامير مساعد قيدوم أن يكون طوع بنان النجومي وأن يكون كالميت بين يدي الغاسل[7] وفي عام 1305هـ/1888م رجع النجومي إلى دنقلا بغرض التقدم نحو مصر، وبحلول العام 1306هـ/ يوليو1888– يونيو 1889م انتشرت المجاعة في جميع أنحاء السودان، وقام الخليفة عبد اللّه بتعيين يونس الدكيم قائداً عاماً وعاملاً على دنقلا، وأمره بأن يضغط على النجومي لكي يتحرك نحو مصر[8].

لقد تم نقل يونس الدكيم من القلابات إلى دنقلا، وقد كانت عملية نقله نتيجة خلاف نشب بينه وبين حمدان أبوعنجة، وسبب هذا الخلاف أنّ يونس الدكيم قد تغول على سلطات حمدان أبوعنجة في القلابات، وتأكد الخليفة عبد اللّه من عدم استمرارهم مع بعضهم في القلابات ولذلك تم تعيين يونس الدكيم عاملاً على كل الجيش في دنقلا[9].

ومما شجع الخليفة عبد الله للضغط على النجومي للتحرك نحو مصر أنّ عدداً من القبائل في جنوب مصر قد أبدت الموافقة على الوقوف مع قوات الخليفة عبد الله ضد القوات المصرية، ومن تلك القبائل قبيلة الجعافرة، ورغم مرض النجومي تحرك بجيشه الذي فرّ عدد كبير منه من دنقلا نحو الشمال وقام بصرف مقدار قليل من الذرة لكل مقاتل وهو شيء لا يكفي لإطعام قواته[10].

عندما قرر الخليفة عبدالله بصورة حاسمة غزو مصر طلب من قبيلة البطاحين الانضمام لهذه القوات وذلك قبل حادثة التنكيل بهم، حيث انضم إلى النجومي في دنقلا 2087 مقاتلاً من البطاحين، وقد استقبلهم النجومي بعرضة كبيرة خارج المدينة، ورفع النجومي كشف شامل للخليفة بالأعداد التي انضمت إليه وسلاحهم وراياتهم[11]. يدل انضمام قوات البطاحين لقوات النجومي المتحركة لغزو مصر أن العلاقة كانت جيدة بين الخليفة وقبيلة البطاحين وقتل عدد من أبناء البطاحين في معركة توشكي 3 ديسمبر 1889م و ذلك بسبب فشل الحملة التي كان الخليفة عبد الله يعول عليها كثيراً لتحقيق انتصار بعيد المنال لعوامل كثيرة[12].

هناك مجموعة من أبناء قبيلة البطاحين قررت عدم المشاركة في حملة النجومي وذلك بسبب مجاعة 1306هـ/1888م وقررت الرجوع إلى مناطقها في سهل البطانة، والتي عُرفت عند أهل السودان بمجاعة سنة 6 ، وعملت هذه المجموعات بعد رجعوها للقيام بعمليات سلب ونهب كبيرة جداً، الأمر الذي أغضب الخليفة عبدالله منهم ، وجعلته يخطط لإيقاف هذه العمليات والقضاء على التعديات التي زادت بمرور الوقت من قبل البطاحين[13].

والناظر لمجاعة 1306هـ/1888م والتي ضربت الدولة المهدية يجد إن هناك عددا من العوامل والأسباب التي أسهمت في حدوثها والتي تتمثل في

- أوامر التهجير التي فرضها الخليفة عبد الله على القبائل الزراعية في منطقة الجزيرة وسنار وكردفان وغيرها من مناطق الإنتاج.
- استهلاك الغلال الموجودة ببيت المال من قبل المجموعات المهجرة إلى أم درمان.
- شح الأمطار الذي ضرب الدولة المهدية.
- انتشار الجراد في معظم أجزاء السودان.
- تفشي العديد من الأمراض في السودان.
- دخول الدولة في معارك متواصلة وفي جبهات متعددة في شرق السودان ضد الحبشة ، وشمال السودان ضد مصر.
- الحروبات الداخلية ضد العديد من القبائل والبطاحين واحدة من تلك القبائل التي تعرضت للهجوم من قبل قوات الخليفة عبد الله.

أثر مجاعة 1306هـ/1888م على قوات المهدية:

حدثت مجاعة 1306هـ/1888م كما شرحنا سابقاً نتيجةً لعدد من الأسباب، منها شح الأمطار وتهجير القبائل من مناطقها إلى أم درمان وتحديداً قبائل منطقة الجزيرة وكردفان ودارفور، وقد أثرت المجاعة بصورة مباشرة على النشاط العسكري لقوات المهدية، وعمت الفوضى جميع البلاد، وعملت قوات الدولة المهدية على مهاجمة الأهالي وعملت على سلب ما في أيديهم، وبلغ الجوع وسط الجنود في القضارف أنّ الزاكي لم يمنع قواته

من التعدي على الناس والسبب في ذلك أنّ المجاعة كانت طاحنة وبيت المال في القضارف كان خالي ولا يحتوي على أي شيء.[14]،وأصبح حال القوات المهدية في حالة من الضنك والعوز، وأصبحوا يأكلون لحوم الماشية الميتة ويلتقطون الحبوب من الأرض، ونتيجةً لهذه المجاعة الطاحنة سعى الخليفة عبد الله لتوفير المؤن التي تكفي قواته شر الموت جوعاً، ونتيجة حتمية لذلك توقفت المعارك ووقعت هدنة بين الخليفة عبد الله والأحباش(15).

كان حصاد الذرة في العام 1306هـ/ 1888م مخيباً للآمال ،ولم ينقذ الدولة المهدية من كارثة محققة إلا محصول الذرة الذي تم إحضاره من فشودة[16] بجنوب السودان[17] ونتيجة لشح الغلال شدد الخليفة عبد الله بأن لا يحتفظ أي شخص في منزله بأكثر من أردب واحد من الذرة أي جوالين من الذرة، ومن يخالف تلك الأوامر يتعرض لأشد العقاب[18] وفي ظل هذا التوتر ونتيجة لحاجة الدولة المهدية للذرة لم يتوقف الخليفة عبد الله عن عملية جمعها من مناطق البطاحين حيث أوكل الخليفة عبد الله شخص يدعى أحمد ود جبارة للقيام بهذه المهمة، على أن يعمل على ترحيلها عبر النيل بالمراكب إلى أم درمان ، وإذا تعرض إليه أي شخص من الأنصار بما في ذلك البطاحين في عملية الجمع فعليه أن يطلعهم على أوامر الخليفة في هذا الشأن، وقد كان الخليفة متشدداً في عملية جمع الذرة من تلك المناطق[19]. لم يتوقف بعض البطاحين ومنذ السنوات الأولى من حكم الخليفة عبد الله عن علميات النهب والسلب التي درجوا على القيام بها ضد الأهالي ، والقوافل التجارية التي كانت تأتي محملة بمناطق نفوذهم أو على تخومها وبحلول العام (1306هـ/1888–1889) زاد تعدي البطاحين على القوافل التجارية ومجموعات العابرين بين نهر عطبرة والحبشة، كما

قاموا بمهاجمة القبائل القاطنة في مناطق البطانة ، وكلما وقعوا في قبضة القضاء تدخل نائب الشرع عثمان أحمد وهو من قبيلة البطاحين كما ورد سابقاً لدى الخليفة عبد للّه للصفح عنهم، إلى أن زاد التعدي من قبلهم على مجموعات كبيرة من التجار والقبائل في منطقة البطانة ، الأمر الذي جعل الخليفة عبدالله يتدخل لحسم هذا الأمر وأرسل إليهم شخص يدعى حمد ود جار النبي بدعوة من الخليفة يطلب منهم التحرك من ديارهم والتوجه ناحية دنقلا لمساندة قوات المهدية بقيادة الأمير عبدالرحمن[20] النجومي[21]

البطاحين ومواجهة الدولة المهدية:

تشير العديد من المصادر إلى معارضة قبيلة البطاحين للدولة للمهدية وقطعهم للطريق في العام 1306هـ/1888م ترجع لعدد من الأسباب والتي من أهمها

- رفضهم للهجرة الجماعية إلى أم درمان والتي فرضها الخليفة عبدالله على جميع قبائل السودان.
- رفضهم لعملية الاستنفار لمساندة حملة الأمير عبدالرحمن النجومي لغزو مصر.
- هروب مجموعات منهم من حملة الأمير عبد الرحمن النجومي إلى مصر ورجوعهم إلى مناطقهم في سهل البطانة.

وعندما أرسل الخليفة عبد الله شخص يدعى حمد ود جار مع عدد من الأنصار إلى البطاحين بغرض جمع العشور[22] لبيت المال تمت مهاجمته

بواسطة بعض البطاحين وهو الذي حضر إليهم قبل ذلك بأمر من الخليفة عبد الله يدعوهم للالتحاق بقوات النجومي في دنقلا[23] غضب الخليفة عبدالله غضباً شديداً من تصرف البطاحين تجاه عامله ود جار النبي، ونتيجة لذلك قام بإرسال قوة كبيرة قدرها إبراهيم فوزي في كتابه السودان بين يدي غردون وكتشنر بعشرة آلاف مقاتل تحت قيادة قريبه الأمير عبد الباقي[24] عبد الوكيل وتم تسليح هذه القوة بالأسلحة النارية ، وتحركت القوة نحو مناطق البطاحين في البطانة وفي يوم 8 شوال 1306هـ، وتنفيذاً لقرار الخليفة وصلت قوات عبدالباقي عبد الوكيل إلى قرية أم ضبان[25] التي تقع شرق النيل الأزرق وقريبة من العاصمة أم درمان وهي مركز الشيخ العبيد ود بدر[26]، ومنها تم إرسال الطلائع تحت قيادة حمد ود جار النبي وقد كان معه أربعون مقاتل حيث تمكنت هذه القوات من قتل ستة أشخاص من البطاحين وهربت مجموعة منهم إلى منطقة (علوان) وهي واحدة من مراكز قبيلة البطاحين في منطقة البطانة، وتحرك عبد الباقي عبد الوكيل بقواته ناحية علوان بعد أن أكد له جواسيسه ومعاونيه وجود البطاحين بها ، وبعد وصوله إلى هناك وجد البطاحين قد غادروها، ومن خلال المعلومات الجديدة التي تحصل عليها ممن يثق فيهم علم أن مجموعة البطاحين الذين حضروا إلى منطقة علوان تحركوا منها قاصدين ثلاث مناطق وهي

1. المجموعة الأولى تحركت نحو البقعة المشرفة (أم درمان).
2. المجموعة الثانية تحركت نحو مناطق الجعليين وتحديداً منطقة (أبواب) كبوشية.

3. أما المجموعة الثالثة فلم يتم تحديد مكانها الذي كانت تقصده بالتحديد بعد أن غادرت منطقة علوان.

بعد ذلك وصلت قوات عبد الباقي عبد الوكيل إلى قرية الفكي سعد أخ الشيخ العبيد ود بدر وطلب من الطاهر العبيد ود بدر ومقاديم القرى مساعدته في تجهيز قواته من خلال قرب الماء والجمال الجيدة لأنه قد قرر مهاجمة البطاحين في أبودليق ، وقد تأكد له أن البطاحين تجمعوا بصورة كبيرة في أبودليق واستنفروا مجموعاتهم المنتشرة على امتداد البطانة بغرض مواجهة الأنصار هناك، وتم التخطيط لهذه المواجهة من قبل البطاحين لكي تكون الفاصلة بينهم وبين قوات المهدية[27].

نلحظ أن الأمير عبد الباقي عبد الوكيل قد سعى بكل جد للقضاء على قبيلة البطاحين وكسر شوكتهم وذلك من خلال إرسال الطلائع لملاحقتهم، وكذلك إرسال الجواسيس بغرض جمع المعلومات عن مناطق تواجدهم والمناطق التي يحتمون بها لكي لا يتم الإمساك بهم من قبل قوات الأنصار.

الهوامش

(1) سيرجي سمرنوف ، دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفييتي،(ترجمة)، هنري رياض، دار الجيل، بيروت، 1994م،122.

(2) د. و. ق. خ مهدية 11/5/3 من الخليفة عبد اللّه إلى أحبابه في اللّه جماعة البطاحين ، شعبان 1303هـ، ص 4.

(2) هارولد أ. مكمايكل، مرجع سابق، ص249.

(3) إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج2، ص 109.

(4) المصدر نفسه، ص177.

(5) هنري سيسل جاكسون، السودانيون المقاتلون،(ترجمة) بدر الدين حامد الهاشم، دار باركود، الخرطوم، 2020م،ص32.

(6) أحمد محمد أحمد مركز، الخليفة عبداللّه ومصر: دراسة وثائقية لحملة عبدالرحمن النجومي ،مجلة المؤرخ السوداني، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، العدد الثالث 2015م،211.

(7) إبراهيم فوزي ، مصدر سابق، ج2، ص 178-179.

(8) د. و. م. خ/ مهدية 2/68/1 من الخليفة عبد اللّه إلى حمدان أبو عنجة، 25 جماد أول 1306هـ، يناير 1889م، ص272.

(9) إبراهيم فوزي، مصدر سابق، ج2، ص179-180.

(10) د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ، نوفمبر 1888م، ص89.

(11) هارولد أ. مكمايكل، مرجع سابق، ص249.

(12) محمد فؤاد شكري، تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر،(1821–1899م)، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة،(ب.ت) ،ص430.

(13) محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، 1821–1955م،ط2، م دار مصحف أفريقيا، الخرطوم،2002م، ص270.

(14) سليمان محمد سليمان، الزاكي طمل، نوفمبر 1955م، (ب.د)، ص39–40.

(15) فشودة: تقع فشودة في منطقة أعالي النيل بجنوب السودان ، وقد ظلت فشودة عاصمة لمملكة الشلك لفترة من الزمن ، ارتبطت في التاريخ الحديث بحادثة فشودة عام 1898م بين القوات البريطانية بقيادة اللورد كتشنر ، والقوات الفرنسية بقيادة الضابط مارشان، وكادت أن تندلع حرب بين الجانبين لولا الجهود الدبلوماسية وانسحاب مارشان في نهاية الأمر. انظر عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية،ج2، ص51.

(16) عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية،ج1، مرجع سابق، ص 303.

(17) جوزف أورفالدر، عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي،(1882-1892م)، ط2، مطبعة التمدن المحدودة ، الخرطوم، ص 308.

(18) د. و. ق. خ مهدية 11/5/3 من الخليفة عبد الله إلى أحمد ود جبارة، 4 شوال 1303هـ، ص 22.

(19) عبد الرحمن النجومي، ينتمي إلى قبيلة الجعليين، درس القرآن الكريم ودرسه للآخرين، انضم للمهدي في أبا 1881م، يعتبر من القادة البارزين، اشترك في معارك المهدي الهامة، حاز النجومي على إعجاب المهدي نتيجة الحنكة والموهبة التي ظهرت في شيكان وحصار الأبيض، وبعد حضوره من جبل الدائر ندبه المهدي لحصار الخرطوم وأن يكون أميراً على كل قوات المهدية، لعب دوراً مهماً في تحرير الخرطوم ومطاردة قوات الإنجليز والبقاء في المتمة متأهباً لغزو مصر. أنظر مجلة الدراسات السودانية، ع1، القاهرة، يونيو1973م، ص168-169.

(20) ابراهيم فوزي ، مصدر سابق ، ص 220-221.

(21) العشور: العشور هي واحدة من أنواع الضرائب التي فرضها الخليفة عبد الله وهي من مصادر بيت مال العموم في أم درمان.

(22) عبدالباقي عبد الوكيل: من أبناء قبيلة التعايشة ومن أقرباء الخليفة عبد الله ، شارك في معظم معارك المهدية الكبيرة، قاد حملة القضاء على قبيلة البطاحين بتوجيه مباشر من الخليفة عبد الله، أبدى مهارة كبيرة في بناء الطوابي على خناق السبلوقة وعلى ضفة النيل الرئيس في أم درمان بغرض عرقلة تقدم الجيش الغازي ، أوكل اليه

الخليفة مهمة مراقبة الجيش الغازي وتحركاته. وكان على قدر المهمة، فقام برصد كل تحركات الجيش الغازي ، وأرسل سيلاً من المعلومات عن أعداده وتسلحه. شارك في معركة كرري وانسحب مع الخليفة نحو الغرب.حارب في أم دبيكرات وجرح وتم أسره.توفي بأم درمان.

(23) إبراهيم فوزي ، ج2، مصدر سابق، ص220-221.

(24) أم ضبان: واحدة من المراكز الدينية في السودان وقد حافظت على هذه المكانة حتى اليوم، ارتبط أسمها بالشيخ العبيد ود بدر.

(25) الشيخ العبيد ود بدر: ولد الشيخ العبيد ود بدر في قرية الحوار بالقرب من شندي في العام 1811م تقريباً، ويسمى أحياناً بالعبيد ودرية الحسانية الكاهلية وهي والدته استقر الشيخ العبيد بحفير (النخيرة) وهي المنطقة التي نشأت فيها مدينة أم ضبان الحالية، اشترك الشيخ العبيد في العديد من مجالس الصلح بين القبائل في منطقة البطانة وأشهر تلك المجالس التي ضمت قبيلة الشكرية والبطاحين الذين قاموا بقتل الشيخ حمد ود الشيخ عوض الكريم أبوسن زعيم الشكرية في العام 1233هـ/1818م، وعند اندلاع الثورة المهدية أنضم الشيخ العبيد ود بدر للمهدية وشارك في حصار وتحرير الخرطوم في العام 1885م.

(26) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 18 شوال 1306هـ، ص 24.

الفصل الرابع

قبيلة البطاحين
ومواجهة الدولة المهدية

الفصل الرابع
قبيلة البطاحين ومواجهة الدولة المهدية

كان الخليفة عبد اللّه في أم درمان مركز الدولة المهدية يتابع حركة قواته في منطقة البطانة ضد البطاحين وفي يوم 19 شوال 1306هـ/1888م ورد خطاب من الخليفة عبد اللّه إلى عبد الباقي عبد الوكيل قائد قواته التي توجهت للقضاء على قبيلة البطاحين، وقد حوى هذا الخطاب أوامر واضحة من الخليفة لعبد الباقي تتمثل في حث البطاحين على الطاعة والتسليم لقوات المهدية أولاً ، وإن فعلوا فعليه ضبطهم وإحضارهم إلى أم درمان بغرض التعرف على مشاكلهم والعمل على حلها لهم على الوجه الصحيح، وإن سعوا للحرب فعلى عبد الباقي عبد الوكيل أن يعرض عليهم الإنذار الصادر من الخليفة عبد اللّه وإن قبلوا به يتم إحضارهم إلى أم درمان ، وإن رفضوا الانصياع لأوامر الخليفة فله الحق في ضربهم، وإن تراجعوا بعد بداية الحرب معهم فعلى عبد الباقي عبد الوكيل أن يعمل على التحقيق معهم في تهمة قتلهم للأنصار وقطعهم للطرق وهل هذا الأمر حقيقية أم غير ذلك[1].

يتضح مما سبق أن الخليفة عبد اللّه لم يكن يرغب في الدخول في مواجهة مباشرة مع قبيلة البطاحين أحد العناصر المهمة في منطقة البطانة، والدليل على ذلك خطابه للأمير عبد الباقي عبد الوكيل قائد حملته العسكرية هناك الذي طلب منه التحقق من التهم الموجهة للبطاحين حتى وإن اندلعت الحرب بينه والبطاحين.

الفكي سعد ودبدر وتعاونه مع البطاحين:

كتب عبد الباقي عبد الوكيل للخليفة عبد اللّه يخبره أنه وعند وصوله وقواته إلى قرية الفكي سعد ودبدر عمل على التحقيق مع الفكي سعد حول البطاحين، وعن الجهة التي توجهوا نحوها ؛ ولكن الفكي سعد أنكر معرفته بالمكان الذي توجه إليه البطاحين ، إلا أن عبد الباقي عبد الوكيل لم يقتنع بإجابة الفكي التي تحمل في داخلها خوفاً تجاه أهله البطاحين، وقد وصلت معلومات مؤكدة لعبد الباقي عبد الوكيل تفيد بأن هناك علاقة قوية بين الفكي سعد والبطاحين وهناك نسب بين البطاحين وحلة الفكي سعد ولذلك لن يخبره بأي شيء عنهم ، ولكن المعلومات المؤكدة لدى عبد الباقي عبد الوكيل تفيد بأن هناك عدد كبير من البطاحين قد احتموا بقرية الفكي سعد والقرى المجاورة لها ، كما أن دوابهم وغلالهم التي لم يتمكنوا من حملها معهم قد تركوها بقرية سعد والقرى التي حولها ، ولذلك عمد عبد الباقي عبد الوكيل إلى إحضار الفكي سعد وحقق معه حول تعاونه مع البطاحين وبعد التهديد والترغيب رضخ الفكي سعد لعبد الباقي عبد الوكيل فقام بإخراج عدد من رجال ونساء ورقيق البطاحين الذين احتموا به ، وكذلك أحضر مجموعة من العيوش وخيش المنازل وبعض الجبب الملطخة بالدم ، وجدت بقرية الفكي سعد وحلة المغاربة بالقرب منها وهي تخص الأنصار الذين قام البطاحين بقتلهم في مواجهتهم الأولى مع حمد جار النبي[2].

هزيمة البطاحين:

كتب عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد اللّه يخبره بوصول خطاب من كل من يوسف عنقرة وعلي الهد الذين تم إرسالهم إلى منطقة أبودليق

بغرض مواجهة البطاحين، وحين وصولهم إلى منطقة أبودليق وجدوا فيها عدد من البطاحين، وقد حاول كل من يوسف عنقرة وعلي الهد ضبط البطاحين وإرسالهم إلى أم درمان لكن حدثت المواجهة بين الطرفين حيث قُتل فيها (37) من البطاحين وتم أسر (70) رجلاً وعدد كبير من النساء والأطفال، ولم يتكبد الأنصار أي خسائر تذكر غير جرح نفرين من الأنصار، وتم قطع رؤوس أربعة من كبار البطاحين وهم طه مضوي ، وعلي ود دمار، و أحمد محمد بشير ، و جبريل محمد بشير ، وذكر عبد الباقي عبد الوكيل للخليفة بأن رؤوس زعماء البطاحين بعد أن وصلت إليه لم يتمكن من إيصالها إلى أم درمان وتم تعليقها في قرية سعد لكي تصبح عظة وعبرة لكل من يعارض المهدية ، ووجه عبد الباقي عبد الوكيل كل من يوسف عنقرة وعلي الهد بتعقب البطاحين حول أبودليق وأن يعملا على قبض أي شخص يتعاون معهم حتى وإن كان من القبائل الأخرى التي تقطن منطقة البطانة[3].

موسى ود العبيد ود بدر وتمرد البطاحين:

ذكر عبد الباقي عبد الوكيل للخليفة عبد الله أنه ومن خلال المعلومات التي تحصل عليها وجد أن هناك تعاون واضح بين البطاحين وموسى ود العبيد ود بدر ، وقد وجد بمنزل موسى أحد البطاحين ، ولم يفصح موسى عنه لعبد الباقي عبد الوكيل إلا بعد أن وصلت أخباره إليه ، كما اتضح لعبد الباقي عبد الوكيل أن موسى ود بدر وعند وصول عبد الوكيل إلى حلة سعد كان موسى في أبودليق ولم يرجع من هناك إلا بعد سفر يوسف عنقرة لمواجهتهم ، ونتيجة لكل ذلك أقدم عبد الباقي عبد الوكيل على جمع الأتباع الذين كانوا معه وهو يأمل في أن يتعاون موسى ود العبيد ود بدر معه

في تحديد الأماكن التي يحتمي بها البطاحين ، كما أوضح عبد الباقي عبد الوكيل للخليفة أنه أوقف عملية تغنيم كل من سعد والطاهر أبناء الشيخ العبيد ود بدر وهو في انتظار إفادة الخليفة في ذلك[4].

طلب الخليفة عبد الله من عبد الباقي عبد الوكيل في 24 شوال 1306هـ العمل على إرسال كل من سعد ود بدر و أخيه الطاهر العبيد ود بدر إلى أم درمان ، وقد قام عبد الباقي عبد الوكيل بإرسال أولاد ود بدر صحبة ثمانية من الجهادية وأولاد العرب مسلحين بالبنادق[5].

عندما وصل أبناء الشيخ العبيد ود بدر إلى حلة خوجلي[6] قادمين من رفاعة ،كتب الطاهر ود بدر للخليفة يطلب منه السماح لهم بالإقامة في حلة خوجلي بدلاً عن أم درمان، ولكن أمام إصرار الخليفة على حضور أبناء ود بدر إلى أم درمان جعل الشيخ الطاهر ينصاع للتوجيهات، ومكث فترة من الزمن في أم درمان ثم طلب من الخليفة عبد الله الإذن بالذهاب مرة أخرى إلى رفاعة، وقد وافق الخليفة على طلب الشيخ الطاهر ولكن بشرط أن يترك أسرته في أم درمان وهو إجراء درج الخليفة عبد الله على إتباعه ضد كل من يشك في ولائه للدولة المهدية، وقد وافق الشيخ الطاهر ورجع إلى رفاعة[7].

أسرى البطاحين في أم درمان:

قام عبد الباقي عبد الوكيل بإرسال عدد من أسرى قبيلة البطاحين إلى الخليفة في أم درمان مع شخص يدعى مصطفى محمد حيث بلغ عدد الأسرى (119) رجلاً و(200) عائلة و (121) من الرقيق وعدد كبير من الماشية، وهذه الأعداد تم القبض عليها بعد واقعة البطاحين في

منطقة أبودليق ، وحلة سعد، وضمت مجموعة الأسرى ثلاثة من زعماء البطاحين وهم: محمد علي أنوس ، وأحمد جاد الله ، ومحمد عبد الله عثمان ، بالإضافة لأعداد المضبوطات التي تم ضبطها من البطاحين ، كما امتدت يد عبد الباقي عبد الوكيل إلى أملاك أولاد الشيخ العبيد ود بدر والسبب في ذلك وقوفهم إلى جانب قبيلة البطاحين في تمردهم ضد الدولة المهدية، وتم ضبط وإِحضار (101) من الرقيق يتبعون للشيخ سعد العبيد ود بدر، واستمرت عمليات البحث عن أموال وممتلكات البطاحين في منطقة البطانة[8].

بعد وصول غنائم البطاحين إلى أم درمان، والتي اشتملت على الضأن والبقر والإبل تم بيعها في أم درمان بواسطة بيت المال وإشرافه المباشر مما أدى إلى هبوط حاد في أسعار الماشية بأم درمان حتى بلغ ثمن الرأس من الضأن نصف ريال[9].

يتضح إن الغنائم التي استولت عليها قوات المهدية من قبيلة البطاحين بعد القضاء عليها كانت كثيرة، والدليل هبوط أسعار الماشية في أم درمان بعد أن تمت عملية بيع هذه الغنائم، وهناك أمر آخر وهو أن القبيلة كانت تمتلك الكثير من الماشية على الرغم من حالة المجاعة التي ضربت الدولة المهدية، وافقدتها الكثير من الأرواح والممتلكات.

بعد وصول أسرى البطاحين إلى العاصمة أم درمان عقد الخليفة عبد الله مجلساً للتفاكر حول مصير هؤلاء الأسرى، الذين ضربت عليهم حراسة مشددة من قبل قوات الخليفة، وفي نهاية الأمر تقرر التنكيل بالبطاحين[10]، وصدر الحكم من خلال قضاة الدولة المهدية بقتل البطاحين، ومبررهم

في ذلك عصيانهم للخليفة عبد الله وتمردهم ضد الدولة المهدية ، وقد تمت عملية شنقهم في سوق أم درمان بواسطة ثلاث مشانق ، ولقد واجه البطاحين الموت بشجاعة وصبر كبيرين[11].

كان من بين الأسرى سبعة وستون رجلًا تم تقسيمهم إلى أربعة مجموعات حسب توجيهات الخليفة عبد الله ، حيث قتلت المجموعة الأولى من البطاحين شنقاً على مقاصل تم تجهيزها خصيصاً لهذا الأمر ، والمجموعة الثانية تم ضرب أعناقهم بالسيف، والمجموعة الثالثة قطعت أياديهم اليمنى ، والمجموعة الرابعة تم قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[12]. وقد قابل فرسان البطاحين الموت بكل بسالة وإقدام، ورباطة جأش ، ورغم الحشد الكبير الذي ضاقت به ساحة المشنقة لم يتزحزح البطاحين ولم يظهر عليهم الخوف، وقد كان الشخص المسؤول عن عملية تنفيذ الإعدام ضد أفراد قبيلة البطاحين يدعى (برنجي) من أبناء قبيلة الدينكا[13] إحدى قبائل جنوب السودان، وقد أوكلت له مهمة الإعدامات في الدولة المهدية حيث يقوم بربط الحبل حول رقبة الشخص المحدد ويسحب العنقريب الذي تم وضعه تحت المشنقة مباشرة، ثم يقوم بسحبه بعد ذلك، وفي وقت وجيز تم إعدام ثمانية عشر شخصاً من البطاحين ، وأصوات التهليل والتكبير تنطلق من حناجر المجتمعين الذين حضروا لمشاهدة هذا الحدث [14].

بالإضافة للمجموعة التي تم شنقها بواسطة (برنجي) في ساحة الإعدام تم اقتياد مجموعة أخرى تقدر بواحد وخمسين شخصاً بواسطة الخليفة عبدالله وقواته من حاملي الحراب الذين يقدر عددهم بأكثر من ألف مقاتل لساحة العرضة وفي الطريق تم قطع رؤوس أربعة وعشرين من البطاحين، وأمر الخليفة عبد الله الجزارين بقطع أيادي وأرجل الباقين من خلاف،

وعلى الرغم من المصيبة التي تعرضت لها المجموعة الثانية والثالثة من البطاحين إلا أنهم كانوا مثل إخوانهم الذين تم إعدامهم في ساحة الإعدام، في قمة الثبات والصبر والجلد[15].

ظلت جثث البطاحين الذين تم إعدامهم معلقة على المقاصل لمدة يوم كامل، ليصبحوا عظة وعبرة لمن تسول له نفسه الخروج على سلطة الخليفة، وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فقد جاء توسل أمهاتهم وأخواتهم للخليفة لكي يسمح لهن بتفقدهم وإذا كان هناك واحد منهم على قيد الحياة يسمح لهن الخليفة بمعالجته وتطبيب جراحه، وقد وافق الخليفة على هذا الإجراء، وبالفعل وجدن البعض ما زال على قيد الحياة، فقمن بصب الزيت الحار على الأجزاء المقطوعة بغرض وقف النزيف، وقد نجا بعض أفراد القبيلة بعد وقف النزيف،وتم حملهم من قبل نساء قبيلة البطاحين إلى سوق أم درمان بغرض إطعامهم[16]

ولتشديد عملية البحث عن البطاحين المنتشرين في منطقة البطانة ، قام عبد الباقي عبد الوكيل بإرسال كل من محمد صالح الجعلي و محمد الفوراوي مع مجموعة من الأنصار لتكثيف عملية البحث عن البطاحين وإحضارهم إلى أم درمان [17].

ذكر إبراهيم فوزي في كتابه السودان بين يدي غردون وكتشنر إن خسائر البطاحين بلغت نحو ألف قتيل ، والأسرى ثلاثة آلاف وذلك بخلاف النساء والأطفال ، كما أن الخليفة عبد الله قد قام بإعدام خمسين من البطاحين وقطع أرجل وأيدي الخمسين الباقين[18]. مما سبق نجد إن إبراهيم فوزي قد بالغ في عدد القتلى من قبيلة البطاحين ويرجح أن العدد أقل من ذلك.

استدعاء الأمير عبد الباقي عبد الوكيل إلى أم درمان:

بعد إكمال مهمة القضاء على البطاحين صدرت الأوامر من قبل الخليفة عبد الله إلى كل من عبد الباقي عبد الوكيل ويوسف عنقرة وعلي الهد وجميع القوات التي شاركت في مهمة القضاء على قبيلة البطاحين بالحضور إلى أم درمان ، وقد تمت الاستجابة لتوجيهات الخليفة وعمل عبد الباقي عبد الوكيل على تجميع قواته المنتشرة في منطقة أم ضبان ومنها إلى أم درمان[19]، وصلت القوات التي تم تجميعها إلى منطقة العيلفون[20] قادمة من أم ضبان بعد أن نجحت في القضاء على تمرد البطاحين ، وذكر عبدالباقي عبد الوكيل للخليفة بأنه سوف يتحرك من العيلفون ناحية أم درمان على الرغم من عدم تمكن جميع قواته من اللحاق به ، ولذلك سوف يتحرك ناحية البقعة وهناك تلحق به باقي القوات التي كانت تبحث عن البطاحين في مناطق البطانة المختلفة ، وقد أوضح عبدالباقي عبد الوكيل للخليفة بأنه قد ترك أحد القادة ويدعى سعد أحمد جمال الدين في حلة سعد ومعه خمسة وثلاثون من الجهادية و خمسة وعشرون من الأنصار بغرض تأمين هذه المنطقة ومنع أي تعدي من قبل البطاحين ، وأكد عليه في أن يسرع في حصر وجمع الغنائم التي تم الحصول عليها ، وأن يكون على تواصل مع عبد الباقي عبد الوكيل بما يستجد من معلومات ، وبعد إكمال مهمته عليه اللحاق به في أم درمان[21].

في ليلة الثلاثاء 10 ذو القعدة 1306هـ/ يونيو1888م وصل الأمير عبد الباقي عبد الوكيل بقواته إلى منطقة (الهجرة) في انتظار أوامر الخليفة عبد الله عبد تنفيذ مهمته ضد البطاحين وتقع الهجرة في منطقة شمبات

الحالية بالخرطوم بحري حيث كانت هذه المنطقة نقطة عبور نهرية لقوات المهدية المتوجهة من أم درمان إلى مناطق البطانة وشرق السودان [22].

بعد ذلك صدرت أوامر الخليفة عبد الله إلى الأمير عبد الباقي عبد الوكيل بالتوجه نحو مناطق جبال النوبة بغرض إخماد الثورة التي اندلعت ضد الدولة المهدية هناك ، وفي يوم 15 شوال 1308هـ/مايو 1890م، بعث الخليفة عبد الله بخطاب إلى عبد الباقي عبد الوكيل في جبال النوبة يطلب منه سرعة إكمال المهمة التي أرسل من أجلها في جبال النوبة ، وذلك لأن الخليفة يرغب في إرساله مرة أخرى إلى قبيلة البطاحين في منطقة البطانة (... تم به الداعي بجد السير والانتباه في انجاز ما ندبنا لا جله حتى نلحق بالبطاحين الذين أمرنا بضبطهم...)[23].

يدل خطاب الخليفة عبد الله للأمير عبد الباقي عبد الوكيل أن البطاحين وعلى الرغم مما لحق بهم من قبل قوات الخليفة إلا أنهم استمروا في معارضتهم للدولة المهدية الأمر الذي استوجب استدعاء الأمير عبد الباقي عبد الوكيل.

ذكر الخليفة عبد الله أن ما قام به تجاه البطاحين وغيرهم من القبائل، كان بتفويض من النبي صلى الله عليه وسلم (... ثم أخبرني صلى لله عليه وسلم أن كافة الإجراءات التي صدرت مني كقتل صالح الكباشى وولد أبي روف ودارفور وما فعلته مع الشكرية والبطاحين وما أجريته بالبقعة وغير ذلك فهي صواب وأخبرني أيضاً أن الله تعالى قد ملكني زمام الكون جميعه والآن قد جعله لي في قبضتي...) [24].

من خلال ما سبق نجد أن الخليفة عبد الله قد استخدم التفويض النبوي (الحضرة) في الكثير من المواقف تجاه خصومه وقد درج الخليفة عبد الله على هذا الأمر في الكثير من قراراته تجاه خصومه من أفراد وقبائل داخل الدولة المهدية، و نجد أن الخليفة عبدالله قد عمل على إيجاد تبريرٍ لعملية تنكيله بقبيلة البطاحين، وبعد هذه الحادثة دخل البطاحين في حالة عداء مع الدولة المهدية استمر حتى سقوطها في العام 1316هـ/1898م.

الهوامش

(1) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 19 شوال 1306هـ، ص 25.

(2) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 20 شوال 1306هـ، ص 27.

(3) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 24 شوال 1306هـ، ص 28.

(4) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 29 شوال 1306هـ، ص 29.

(5) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 24 شوال 1306هـ، ص179.

(6) حلة خوجلي: تعد حلة حمد وحلة خوجلي من أقدم أحياء مدينة الخرطوم بحري ، ويرجع تأسيسها للشيخ حمد ود أم مريوم، وقد توافد عليها الناس وقطنوها في الفترة بين القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي.

(7) جوزف أورفالدر، مصدر سابق، ص 340.

(8) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 29 شوال 1306هـ، ص 30.

(9) إبراهيم فوزي ،ج2، مصدر سابق، ص 223.

(10) جوزف أورفالدر ،مصدر سابق، ص 441.

(11) رودلف سلاطين ، مصدر سابق، ص 199–200.

(12) تاج السر عثمان الحاج ، دراسات في التاريخ الاجتماعي للمهدية، (1881–1898م) ، مركز عبد الكريم ميرغني ، أم درمان ، 2010م ،ص، 144.

(13) قبيلة الدينكا : واحدة من المجموعات السكانية بجنوب السودان ، يتوزع الدينكا بين مناطق بحر الغزال ، وجونقلي ، وأبيي، ومناطق أعالي النيل.

(14) جوزف أور فالدر ،مصدر سابق، ص 441.

(15) المصدر نفسه، ص 442.

(16) المصدر نفسه، ص 442–443.

(17) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 1 1ذوالقعدة 1306هـ، ص 31.

(18) إبراهيم فوزي ، مصدر سابق ، ص 221.

(19) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 5 ذوالقعدة 1306هـ، ص 32.

(20) العيلفون: تقع العيلفون إلى الجنوب من الخرطوم على النيل الأزرق ويقال أن أصل الاسم (عيله فونج) وتحولت إلى العيلفون، تسكنها قبائل المحس، وبها قبة الشيخ إدريس ود الأرباب.

(21) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 8 ذوالقعدة 1306هـ، ص 33.

(22) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 10 ذوالقعدة 1306هـ، ص 34.

(23) د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 16 شوال 1308هـ، ص 166.

(24) د. و.ق.خ مهدية 1/42/7-1 من الخليفة عبد الله إلى أحمد فضيل، (شعبان، 1305هـ)، ص 3.

الخاتمة

المتابع لتاريخ المهدية في السودن (الثورة والدولة) يجد أنها واجهت الكثير من حركات المعارضة الدينية والقبلية وقد تميزت المعارضة القبلية بالطابع المسلح ، ومن القبائل التي ناصبت المهدية العداء في دارفور قبائل التعايشة والفور، والرزيقات وغيرهم من القبائل في تلك المناطق، وقد انتهت معارضة قبيلة الرزيقات للدولة المهدية بموت زعيمهم مادبو علي عبدالحميد في فبراير من سنة 1887م، وفي منطقة البطانة ظهرت معارضة قبيلة الشكرية بوسطة زعيمهم الشيخ عوض الكريم أبوسن الذي طلب منه الخليفة عبد الله الحضور إلى أم درمان مع زعماء قبيلته لكنهم لم يستجيبوا لأوامر الخليفة أو أن استجابتهم لم ترضِ الخليفة عبد الله، ولذلك واجه ود ابوسن خطر السجن والموت، ونفس الأمر انطبق على قبائل الحمدة، والضباينة حيث تم القبض على زعيمهم محمود ود زايد الذي تمكن الخليفة عبد الله من القبض عليه وسجنه حتى مات في العام 1889م ، وهناك أيضا قبيلة رفاعة الهوى التي واجهت مصير سابقتها من القبائل، وفي شمال كردفان عارضت قبيلة الكبابيش الدولة المهدية وانتهت معارضتهم بكسر شوكتهم، وفي مناطق الشمال الأوسط من السودان عارضت قبيلة الجعليين في الشمال الأوسط من السودان ، وقبيلة رفاعة على النيل الأزرق ، وقبيلة البطاحين موضوع الدراسة في منطقة البطانة ، وغيرهم من قبائل السودان. ومرد هذا الصراع يمكن تفسيره بأن هذه القبائل لا ترغب في الدخول تحت سيطرة الخليفة عبد الله ثم إن طبيعة هذه القبائل وطرق عيشها تتعارض مع المهدية وفكرتها التي تقوم على الدولة المركزية ، كما

أن سياسية التهجير التي اتبعها الخليفة عبد اللّه وما صاحبها من عنف وبطش وتنكيل، وضعته في مواجهة مباشرة مع العديد من تلك القبائل ، لكل هذه الأسباب وغيرها دخلت قبيلة البطاحين في صراع مع الخليفة عبد اللّه كلفها الكثير من الأرواح والثروات، ومن الخلاصات التي خرج بها هذا الكتاب أن قبيلة البطاحين انضمت للمهدية في بداية ثورتها وآمنت بها ودافعت عنها، وعندما عارضت قبيلة البطاحين الدولة المهدية خسرت الكثير من الأرواح، والأموال والثروات وتم تهجيرها من منطقتها في البطانة إلى أم درمان كما قُتل العديد من زعمائها، بالإضافة إلى وقوف أبناء الشيخ العبيد ود بدر مع قبيلة البطاحين في محنتها وصراعها مع الخليفة عبد اللّه الأمر الذي ترتب عليه الدخول في مواجهة الخليفة، واستمر الحال حتى نهاية الدولة المهدية في العام 1898م.

المصادر والمراجع

أولاً:

المصادر:

أ. القرآن الكريم

ب. الوثائق:

1. د. و. ق. خ مهدية 11/5/3 من الخليفة عبد الله إلى أحبابه في الله جماعة البطاحين ، شعبان 1303هـ.

2. د. و. م. خ/ مهدية 1/1 من عبد الرحمن النجومي إلى الخليفة عبد الله، 8 ربيع أول 1306هـ.

3. د. و. ق. خ مهدية 11/5/3 من الخليفة عبد الله إلى أحمد ودجبارة ،4 شوال 1303هـ.

4. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 18 شوال 1306هـ.

5. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 19 شوال 1306هـ.

6. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 20 شوال 1306هـ.

7. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 24 شوال 1306هـ.

8. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله 29 شوال 1306هـ.

9. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 24 شوال 1306هـ.

10. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 29 شوال 1306هـ.

11. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 1 القعدة 1306هـ.

12. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 12 رجب 1308هـ.

13. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 5 القعدة 1306هـ.

14. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 8 القعدة 1306هـ.

15. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 10 القعدة 1306هـ.

16. د. و. ق. خ مهدية 7/1 من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله 16 شوال 1308هـ.

17. د. و.ق.خ مهدية 1/42/7-1 من الخليفة عبد الله إلى أحمد فضيل، شعبان ، 1305هـ.

ثانياً :

الكتب المصدرية:

1. إبراهيم فوزي ، السودان بين يدي غردون وكتشنر ، ج2 ، مطبعة دار الكتب والوثائق القاهرة ، 2008م.
2. سلاطين باشا، السيف والنار في السودان ،مؤسسة هنداوي ، القاهرة 2012م.
3. جوزف أورفالدر، عشر سنوات في الأسر في معسكر المهدي، (1882-1892م)، ط2 ،(ترجمة)، عوض أحمد الضو، مطبعة التمدن، الخرطوم، 2015م.
4. علي المهدي، الأوراق المروية في تاريخ المهدية، (جمع وترتيب)، عبد الله محمد أحمد، المطبعة الحكومية ، الخرطوم، 1965م.
5. كارل رودلف سلاطين ، السيف والنار، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة ، 2008م.
6. هارولد أ. مكمايكل، تاريخ العرب في السودان، ج1، (تعريب) سيد محمد علي ديدان ،مركز عبد الكريم ميرغني، 2012م.

ثالثاً:

المراجع:

1. الطيب محمد الطيب ،التراث الشعبي لقبيلة البطاحين ، سلسلة دراسات في التراث السوداني (16)، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية ، شعبة ابحاث السودان ، يونيو ، 1971م.

2. ـــــــــــــــــــ ، حلال المشبوك ، فرح ود تكتوك (1047–1147هـ)، (ب.ت)، (ب.د).

3. أحمد أحمد سيد أحمد، تاريخ مدينة الخرطوم (1820–1885م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م

4. تاج السر عثمان الحاج ، دراسات في التاريخ الاجتماعي للمهدية ،(1881–1898م) ، مركز عبد الكريم ميرغني ، أم درمان ، 2010م.

5. سليمان محمد سليمان، الزاكي طمل، نوفمبر 1955م، (ب.د)،

6. عبد الله حسين ، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، ج1، مؤسسة هنداوي، القاهرة،2012م.

7. محمد فؤاد شكري، تريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر،(1821–1899م)، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة،(ب. ت).

8. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث، 1821–1955م،ط2، م دار مصحف أفريقيا، الخرطوم،2002م.

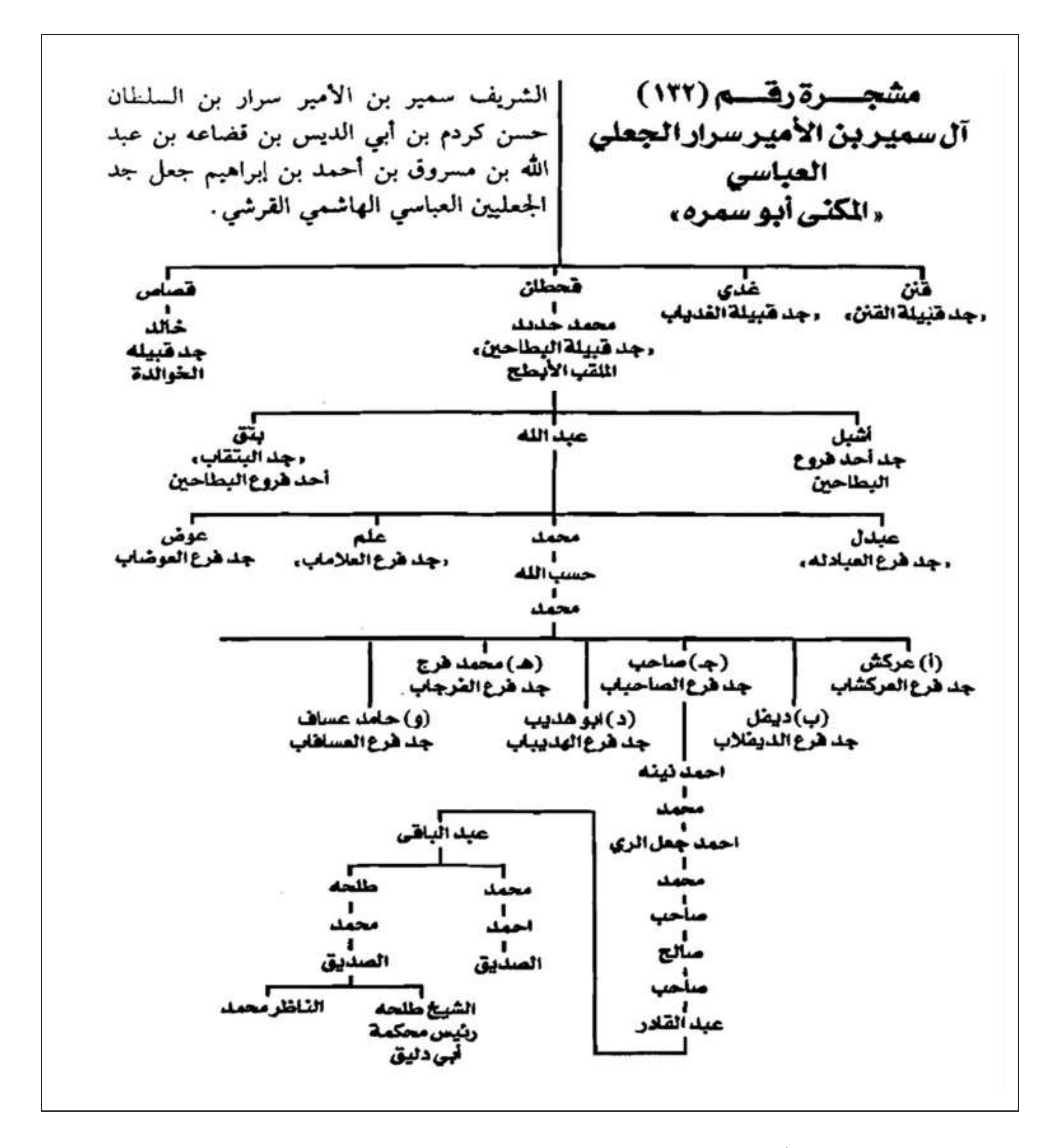
9. هنري سيسل جاكسون، السودانيون المقاتلون،(ترجمة) بدر الدين حامد الهاشم، دار باركود، الخرطوم، 2020م.

المجلات العلمية:

1. مجلة الدراسات السودانية، ع1، القاهرة،يونيو1973م.

2. مجلة المؤرخ السوداني، مجلة الجمعية التاريخية السودانية، العدد الثالث 2015م

الملاحق



ملحق رقم (1) شجرة نسب البطاحين - المصدر الشبكة العنكبوتية



ملحق رقم (2) خريطة توضح مناطق قبيلة البطاحين

والقبائل المجاورة لهم

ملحق رقم (2) مهدية 7/1 ، دار الوثائق القومية الخرطوم ، خطاب من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبد الله بتاريخ 19 شوال 1306هـ يوضح فيه بأنه على أتم الاستعداد لضبط وإحضار قبيلة البطاحين إلى أم درمان.

ملحق رقم (4) مهدية 7/1، دار الوثائق القومية الخرطوم ، خطاب من عبد الباقي عبد الوكيل إلى الخليفة عبدالله بتاريخ 18 شوال 1306هـ يوضح فيه تعقبه لأفراد قبيلة البطاحين في منطقة البطانة وأنه سوف يعمل على مواجهتهم بكل قوة وحزم.



ملحق رقم (5) لوحة لبعض البطاحين لحظة الحكم عليهم



ملحق رقم (6) لوحة لمشانق الإعدام في أم درمان في عهد الدولة المهدية



الناشر
دار آريثيريا للنشر والتوزيع – الخرطوم – الســودان
جوال: 121566207 - 00249122094856
البريد لإلكتروني: arithriaforpublishing@gmail.com



حاتم الصديق محمد أحمد

مكان وتاريخ الميلاد: قرية الهجيليج - مصنع سكر الجنيد شرق الجزيرة 1981م

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ - كلية التربية جامعة الزعيم الأزهري

مدير مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

نال درجة الاستاذية (بروفيسور) في العام 2020م

عضو مجلس أساتذة جامعة الزعيم الازهري

عمل أستاذاً للتاريخ في عدد من الجامعات داخل السودان وخارجه

تولى العديد من المناصب الإدارية

عضو العديد من الجمعيات العلمية داخل السودان وخارجه

عضو العدد من الهيئات العلمية لعدد من المجلات داخل السودان وخارجه

شارك في عدد من المؤتمرات المحلية والدولية

رئيس هيئة تحرير مجلات القُلزم العلمية الدولية المُحكمة

رئيس للعديد من الفِرق البحثية

لديه العديد من الدراسات والبحوث والمنشورة بدوريات محلية ودولية

لديه العديد من الكتب المنشورة منها:

- الجيش في المهدية 1881-1898م
- دور الأمير يعقوب في المهدية 1881-1898م
- الزعيم الأزهري حياة زاخرة ومواقف خالدة - كتاب مشترك - (باللغتين العربية والانجليزية)
- فظائع الدفتردار في السودان 1821-1824م
- سيرة النور بك محمد عنقرة بقلمه 1924م - كتاب مشترك
- تاريخ التنافس في البحر الأحمر
- النظم الحضارية في الدولة المهدية 1885-1898م
- القَلَد في شرق السودان عبقرية العُرف والسلم الاجتماعي كتاب مشترك
- مدينة الذهب (مدينة محمد علي باشا في السودان)



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation